JUHA

JAWANIB INSANIYAH

2271
.505691
.J49
.349

2271.505691.J49.349
Juha
Jawanib insaniyah...

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 074453844

فريد جحا
مدير ثانوية المأمون بحلب

جوانب إنسانية من تاريخنا وقوميتنا

Juḥā, Farid

فريد جحا
بتصرف
مدير ثانوية المأمون بحلب

Jawānib insāniyah

جوانب إنسانية من تاريخنا وقوميتنا

حديث القي في المركز الثقافي
بحماة مساء ١٠/١٢/١٩٥٩

2271
.505691
J49
.349

الإهداء

إلى جمال عبد الناصر

الرائد الكبير القلب

وللإنسان العربي العظيم

ا ٦٩ ٤٢٨

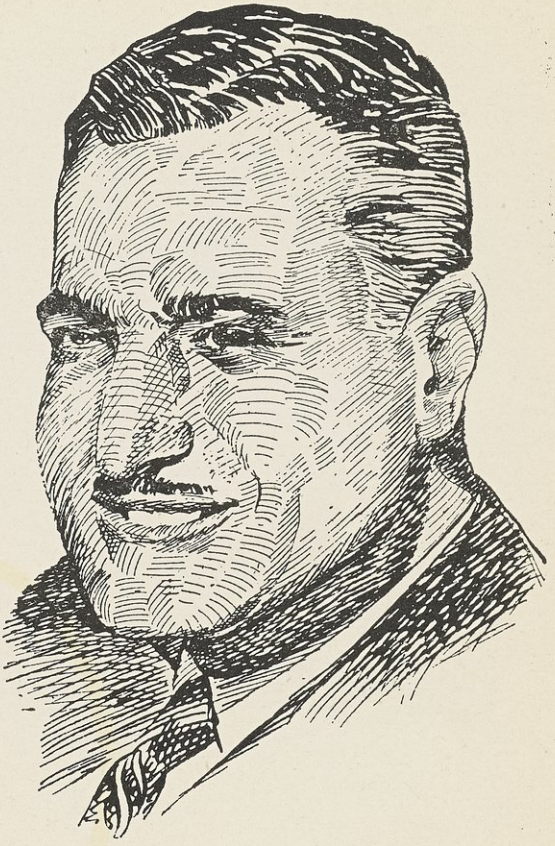

مقدمة

تخوض القومية العربية ـ سيداتي وسادتي ـ في هذه الايام معركة ضارية اجتمع في صف اعدائها أقانيم القوة والسيطرة والعدوان : الصهيونية والشيوعيـــة والاستعمار . ولم يتفق المعسكران الشرقي والغربي حول قضية إلامرتين . أولاهما : عندما فرض العـالم إحالة فلسطين العربية الي دولة يهودية ، والثانية : في المعركة الرهيبة التي يتحمل أوزارها شعبنـا الأبي في العراق .

ولنترك جانباً النواحي السياسيـة والاقتصـادية والعسكرية من هذه المعركة ـ مع اعترافنا باهميتها وخطورتها ـ ولنقف وقفة المتمهل عند الناحية الفكرية منهـا .

ذلك أن اعداء القومية العربية حاربوها فكريا بفيض لا ينضب من التهم والدسائس والاشاعات : قالوا عنها يوما إنهـا ابنة النازية السوداء ، ثم اصبحت عندهم بعدئذ شيوعيـة حمراء ، وغدت اليوم في نظرهم تعصباً ورجعية وبعداً عن الانسانية .

ولن نرد التهمتين الأوليين فقد اثبتت الايام كذبها ، أما التهمة

الثالثة التي نرد عليها فتطرحها الشيوعية في هذه الايام ، ويمكن أن تلخص كما يلى :

« إن القومية العربية لم تعد صالحة لهذه الايام لاتجاه الامم في مثلها العليا نحو الانسانية الشاملة . فهي دعوة تقوم على العصبية ، وعلى كره الآخرين ، وهي قد كانت صالحة لعصر مضى . فضلا عن أنها (اى القومية) قد حملت للانسانية شراً مستطيراً . الا يكفي أنها أعطت البشرية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الاستعمار البغيض ؟ الم تكن سببا في مآس وحروب كثيرة ؟ » .

وقبل ان نرد على هذه التهمة لنثبت أنها باطلة ، وأن قوميتنا ليست كالقوميات التي يتحدثون عنها بل هي تختلف عنها : فهي إنسانية اخلاقية تتمنى الخير لنفسها اولا ولبقية الأمم ثانيا ، وأن المعارك التى تخوضها ستحمل معها خيراً للدنيا كلها . . . قبل هذا سنعود الي التاريخ نسأله عن رأيه في العرب : أكانوا متعصبين فاتكين مخربين ؟ أشاركوا في التراث الانساني ؟ أأحسنوا الى البشرية أم اساءوا اليها ؟ . . .

حتى اذا انتهينا من الاجابة على هذه الاسئلة انتقلنا بعد ذلك الى الحديث عن الجوانب الانسانية الكثيرة في القومية العربية .

١ - يحملون رسالة الله :

نعم تعالوا - ايها السيدات والسادة - الى التاريخ نحتكم اليه ونسأله عن (العرب) فماذا عساه يقول ؟

يقول التاريخ في صفحاته الاولى : إن العرب عاشوا في جزيرتهم ، في صحرائهم ، عيش الشظف والضنك . ومع هذا كانوا مثلا أعلى في الكرم والنبل والشجاعة والحرص على الخلق الطيب . والشعر العربي الجاهلي عامر بصور تلك المكرمات ، واكتفي بقراءة هذه الابيات لعمرو بن كلثوم :

وقد علم القبائل من معد	اذا قبب بأبطحها بنينا
بأنا المطعمون اذا قدرنا	وأنا المهلكون اذا ابتلينا
وأنا المانعون لما أردنا	وانا النازلون بحيث شينا
ونشرب ان وردنا الماء صفواً	ويشرب غيرنا كدراً وطينا

اذا ما الملك سام الناس خسفاً ... أبينا ان نقر الخسف فينا
اذا بلغ الفطام لنا صبي ... تخر له الجبابر ساجدينا

وهذه الابيات لعنترة :

أثني علي بما علمت فانني ... سمح مخالقتي اذا لم اظلم
فاذا ظلمت فان ظلمي باسل ... مر مذاقته كطعم العلقم
واذا شربت فانني مستهلك ... مالي، وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما اقصر عن ندى ... وكما علمت شمائلي وتكرمي
هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ... إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى واعف عند المغنم

وتطوى صفحة لتفتح اخرى . واذا الله العادل الرحمن الرحيم، يختار العرب ليحملوا على كاهلهم آخر رسالة تصل السماء بالارض . وهكذا كان النبي (عربياً) ، وكان القرآن معجزته (عربياً) ، وكان الاسلام رسالة الله للناس كافة .

ويخرج العرب من جزيرتهم يفتحون الدنيا ، ويديلون ملك

كسرى وقيصر ، ويجددون الانسانية بالرسالة التي حملت النـــور والهدى ، في وقت اقبلت فيه الدنيا المعروفة في ذلك الحين على عهد من الظلام والفوضى والدمار . . .

لهذا لم يكن غريباً ان تمتد فتوحات العرب واسعة واسعة ، وفي مدة يسيرة يسيرة ، وان يؤمن الناس ايماناً عظيماً بالرسالة الجـــديدة .

ذلك ان التاريخ « لم يعرف فاتحاً ارحم من العرب » وان العرب عملا بوصية خليفة الرسول الأول : « لم يقطعوا شجرة ، ولم يهدموا بيتاً ، ولم يقتلوا شيخاً » .

٢ - ورسالة العلم والمدنية :

ولم يكتف العرب بعد هذا بالفتح ، ولا بنشر رسالة الله ولغة قرآنه في البلاد الجديدة ، بل شمروا عن ساعد الجد ، فترجموا علوم الأمم السالفة وفلسفتها ، ثم انتقلوا بعد هذا الى عهد من الأبداع والتجديد فيما تلقوا من علم وادب وفلسفة ، فانتجوا روائع باقية على الدهر ، وساروا بمشعل الانسانية الى الامام ليسلموه الى اوروبا في اوائل عصر النهضة ، اوربا التى كانت غارقة في سباتها العميق ،

حين كان اجدادنا يقدمون آيات رفيعة من العلم والفلسفة والهدى .

افتحوا معى اي معجم من معاجم اللغات الاجنبية ، تجدوا فيه فيه الفاظا عربية كثيرة ، إنها عربية اللفظ والأصل والمنبت ، فيها دليل الحضارة الرائعة ، والحياة الرفيعة التى لم يعرفها الناس الا عند العرب .

واستعرضوا في اذهانكم العظماء العالقة الذين تحفل بآثارهم ، لا مكتباتنا فحسب ، بل مكتبات الدنيا ، والذين تعترف بأنهم قدموا آثارا خالدة على الدهر . . .

ابن الرومي بشعره الوصفي البديع . ابو العلاء المعرى بشعره الفلسفي وحياته المثالية ورسالة الغفران . ابن الفارض بشعره الصوفي الرائع . ابن خلدون في مقدمته التى كانت فتحاً في علم الاجتماع . ابن سينا الذي بقيت كتبه تدرس الى زمن قريب في جامعات اوربا. ابن رشد سيد الفلسفة في جامعات الغرب خلال العصر الوسيط ...

اما العلوم ، فابداع في الجبر حتى لقد اعطى اسمه للغات كلها ، واكتشافات فلكية وجغرافية ترفع الرأس ، والطب بعد هذا كله عظيم الشأن سامي المكان . . . .

هل امضي في ذكر الامثلة؟... انها اكثر من ان تحصى ، ومهمتنا

التذكير لا التحديد والتدقيق .

لهذا كله - ياسادتي - لم يكن غريباً ان يعترف المؤرخون (وحتى من اعدائنا) بانه لو لم يكن للعرب الا فضل حفظ الثقافات القديمة ، وايصالها الى اوربا لكفاهم ذلك فخراً ؛ فكيف وهم قد اضافوا الى ذلك دفعهم تلك العلوم الى الامام ، وتقديمهم فيها نتاجاً رائعاً لم يقدر لهان يؤتي اكله بسبب المآسي التي المت بالامة العربية ، بعد الحروب الصليبية وغارات التتار والاستعمار التركي .

٣ - وبردون الهجوم البربري :

وتقدمت صفحات التاريخ ، واذا وباء اصفر يزحف من شرقي آسيا يدمر الحضارات ، ويفتك بالانسان ، ونعني به هجوم المغول الذين سماهم العرب (بالتتر) باتجاه الغرب في حملتين بربريتين :

اولاهما بقيادة (جنكيز خان) ووصلت الى حدود العراق عام (٦١٧) هجرية ؛ والثانية بقيادة (هولاكو) عام ٦٥٦ هجرية وقد بلغت فلسطين .

كانت كل حملة تتقدم فتنشر في طريقها الخراب والدمار والبؤس . وتوفق الحملة الثانية في احتلال بغداد في صفر من

عام(٦٥٦) ، فتعمل السيف بسكانها والحرق والنهب بمكاتبها وبيوتها، حتى لقد اصبح لون الماء في نهر دجلة اسود نتيجة انحلال حبر الكتب الكثيرة العظيمة التي القاها التتر فيه .

ولن تدركوا - ايها السيدات والسادة - اهمية الخدمة العظيمة التي قدمها العرب للانسانية حين ردوا المغول البرابرة ، الا اذا اسمعتكم طرفاً من تلك الصفحات الباكية المؤثرة التي سطرها ابن الأثير في تاريخه (الكامل) عن هذه المحنة العظيمة التي وصفها وصف شاهد عيان لأنه كان معاصراً لها .

في الجزء الثاني عشر من تاريخ ابن الاثير ، وفي حوادث عام ٦١٧ هجرية يتحدث الينا هذا المؤرخ الكبير عن خروج التتر من بلادهم ، فيقول :

« لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها ، كارهاً لذكرها ، فأنا أقدم رجلا وأؤخر أخرى . فمن الذي يسهل عليه أن ينعى دينه وقومه . ومن يهون عليه ذكر ذلك . فياليت أمي لم تلدني ، وياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً . إلا أني حثني جماعة من الاصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ، ثم رأيت أن ترك ذلك لايجدي نفعاً .

فنقول هذا الفعل بتضمن الحادثة العظمى ، والمصيبة الكبرى التي عقت الايام والليالى عن مثلها .. فلو قال قائل : إن العالم منذ خلق آدم الى الان لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً ؛ فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها »

وبعد ان يتحدث ابن الاثير عما فعله الفاتحون القدماء بالشعوب التي غلبوها والمدن التي فتحوها يتابع كلامه قائلا :

« وهؤلاء لم يبقوا على احد ، بل قتلوا النساء والرجال والاطفال، وشقوا بطون الحوامل ، وقتلوا الأجنة ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها ، وعم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح ، ولم يبت احد من البلاد التي لم يطرقوها الا وهو خائف يتوقعهم ويترقب وصولهم اليه » .

وتتكاتف الايدي العربية لتقف في وجه الطغيان والارهاب والدمار ، ويستطيع الجيش الذي خرج من مصر عام ٦٥٩ ان يهزم جيوش (هولاكو) في موقعة (عين جالوت) قرب الناصرة بفلسطين فارتدت خائبة مدحورة . ولو قيض لهولاكو ان ينتصر لتغير وجه التاريخ حتما ، ولاخرت غزواته تقدم الانسانية قروناً طويلة .

وهكذا تكون المعركة التي خاضها العرب ضد المغول معركة للمدنية للانسانية للحضارة ، ضد البربرية والهمجية والدمار .

٤ - ويحافظون على القيم العالية :

وتسقط بلاد العرب صريعة تحت اقدام الاستعمار العثماني الذي حاول خلال قرون عديدة أن يطفيء شعلة العلم والحضارة والمدنية في وقت كانت فيه اوربا تتقدم بخطى سريعة نحو المدنية الآلية الصناعية ... وعلى الرغم من انتصار اوروبا في معركة المادة ، فانها قد خسرت معركة الروح فلقد اصبحت عضلات العالم الغربي اكبر من عقله وقلبه (كما قال رئيسنا جمال عبد الناصر) .

وهكذا بقيت الامة العربيـة ، خلال سنوات نومها تنشر نور الحق والخير والجمال ، نور الله العظيم . وبقيت هذه البلاد التي كانت مهد الديانات السماوية ، المكان الذي ترى فيـــه الروح انتعاشهـا ، وحافظ المؤمنون في بلاد العرب على جميع القيم العالية التي بشر بها عيسى ومحمد (صلوات الله عليهما) .

٥ - المعركة مع الاستعمار :

واقبل القرن التاسع عشر والقرن العشرون . هذان القرنان

اللذان حملا معهما الاستعمار الغربي بطغيانه وتآمره وسطوته من جهة ويقظة العرب واملهم في التحرر والعيش الكريم من جهة ثانية .

وهكذا خاض العرب من جديد معركة انسانيه ضد اقوى طغيان عرفته البشرية الا وهو الاستعمار . الاستعمار الذي قاسى منه كل قطر عربي اشد الويلات . وكانت المعركة مع الاستعمار ضارية رهيبة اسلحتنافيها ايمان وعزم وكرامة وتطلع الى الحرية ، وسلاح الاستعمار فيها كل ما وصل اليه عقل الانسان من أدوات القتال الرهيبة . وثبت العرب في المعركة ، واثبتوا أنهم ابطال حقاً ؛ إذ ان المعركة لم تطل بل سرعان ما انتصروا في اكثر ديارهم ودحروا الاستعمار وطردوه شر طردة . ووقف العالم كله يشاهد مدهوشاً هذا الفتى العربي العظيم يقفز قفزات لاتخطر على بال احد ، محطما في طريقه كل مخلفات الماضي البغيض من تفرقة وجهل ومرض وظلم .

وانتقل العرب من دور الدفاع الى دور الهجوم ، فهاجموا الاستعمار في الاقطار التي لايزال يسيطر عليها . وهم اليوم يخوضون ضده معركة ضارية .

ان كل الدلائل تبشر بنهاية هذا النظام الوحشي الهمجي ، ويوم يلفظ انفاسه الاخيرة ستذكر الانسانية انه ما من امة قاست من

الاستعمار مثلما قاست الامة العربية ، وان دور العرب في هزيمته كان كبيراً كبيراً .

ويكفي ان نذكر ما يلاقي ابطالنا الاشاوس في الجزائر وعمان والعراق وجنوبي الجزيرة والبطولات العظيمة التي يصنعها المجاهدون العرب هنا وهناك في ارض العرب .... يكفي ان نذكر هذا وذاك لنعرف المستوى الرفيع الذي بلغته امتنا في نضالها الانساني العظيم ضد الاستعمار .

٦ - ومع الصهيونية :

ولم يمتحن العرب بالاستعمار فحسب بل امتحنوا بما هو أشدمنه نكراً وإجراماً وطغياناً ونعني به الصهيونية العالمية . إن البشرية لم تعرف في تاريخها الطويل حركة خطرة شريرة كالحركة الصهيونية، حركة استطاعت ان تضلل شعوبا كثيرة وتسيطر ماديا وفكريا على أكبر دولة وأغنى دولة في العصر الحاضر وهي (أميركا) ، وتعقدمع الاستعمار والشيوعية حلفاً مقدساً جمع أعداء العرب جميعاً .

إننا نعتقد أن غايات الصهيونية العالمية هي التحكم في الدنيا وتسيير الناس لغاياتها الدنيئة. وكتب مؤسس هذه الحركة عامرة بالأهداف

الاجرامية اللئيمة ، وبالوسائل الكريهة القذرة التى تستعمل لتحقيقها .

بهذه الحركة ابتلى العرب الى جانب بلواهم بالاستعمار ، بل لقد استطاع الاستعمار والصهيونية أن يفرضا على العرب في زمن ضعفهم وتآمر حكامهم دولة اسرائيل المزعومة التى أسست لتكون قاعدة للظلم والطغيان والبغي .

ان الصهيونية شر كلها ، وشر ما فيها أنها مبنية على الحقد واللؤم والتعصب والانانية ، وأنها تريد أن تصل الى غاياتها مهما كانت الوسائل التى تستخدمها .

وهكذا يقف العرب في المعركة ضد العدوين المتحالفين ، ولن يكون النصر إلا للعروبة لانها على حق ، ومهما أظلم نور الحق فلابد ان يسطع يوماً مشرقاً ضاحكا . وستهزم الصهيونية كما هزم الاستعمار ، وينتصر العرب في معركة انسانية رائعة .

٧ - ومع الشيوعية :

وتأتي هذه الايام وتتحقق الوحدة بين الاقليمين السورى والمصرى ، فتكون تلك الوحدة حركة ثورية نضالية ونصراً

مؤزراً في تاريخ العرب وفي الطريق نحو الوحدة الشاملة . عند ذاك يجن جنون أعداء العروبة ، ويضاف الى المتهجمين الكائدين عدو آخر هو الشيوعية وعملاؤها العبيد الأجراء .

والشيوعية ـ أيها السيدات والسادة ـ شر مستطير أيضا . وشر ما فيها إهدارها القيم الروحية واستعبادها الانسان ، وتسليطها فئة من الناس على مجموع الأمـــة والارتباط بدولة أجنبية مطاعـة عبر الحدود . . . وليست هذه فقط شرور الشيوعية ففيهـــا التعصب المنكر ، والتفسير المادى لكل شيء حتى لأقدس مثل الأنسان وعواطفه وتاريخه ، وفيها بعد هذا كله ، فرض للرأى بالقوة وإسكات لكل صوت معارض ، ودماء تسيل كالسيل .

ويمتحن العـــرب بالشيوعية ايضا ، ويكافحونها لا كما تكافح القومية العربية في العـــراق بالسب والشتم والقتل والتمثيل وبحث الشهداء وسحلهم بالشوارع ، بل بالاقناع والاقناع فقط .

وهكذا يعيش العرب في هذا الايام في معركة مع الاستعمار ومع الصهيونية ومع الشيوعيـة ، وكأن الله جلت قدرته قد كتب على العرب أن يكونوا في معركة مستمرة مع الشر ، مع الطغيان ، مع الهمجية ، لتكون الانسانية يوماً ما خالصة من شرور الدنيا جميعاً .

٨ - حياد العرب خير للبشرية :

ويأتي اخيرا دور العرب في الصراع ، الدائر بين المعسكرين المتطاحنين على السيطرة والغلبة . ويختار العرب الطريق الوعر الشائك ، طريق الحياد الايجابي فهم لا ينضمون الى هذا المعسكر ، ولا الى ذاك ، بل يسيرون بهدى من مصلحتهم القومية .

اننا نعتقد أن انضمام العرب الى أحد المعسكريين يمكن ان يعجل بالحرب العالمية الثالثة ، التى ستدمر الانسانية والمدنية . فالوطن العربي بموقعه الاستراتيجي الهام ، وثرواته المادية ، وقواه البشرية ، جدير بترجيح أحد المعسكرين اذا انضم العرب اليه . وهم حين يفعلون ذلك سيدفعون المعسكر الذى حالفوه الى الشعور بعزته وقدرته على الحرب . وعند ذلك لن يكون تردده طويلا حين تواتيه فرصة إشعال حرب لا تبقى ولا تذر .

إن العرب باختيارهم الحياد الايجابي يدفعون عن البشرية شراً مستطيراً ، ويقدمون للانسانية خيراً وأمناً وسلاما .

٢ - الجوانب الانسانية في القومية العربية

مقدمة :

١) هؤلاء العرب اجدادنا العظـــام وقفوا مواقف انسانية كثيرة في تاريخهم ؛ وقد سردت بايجاز بعضها . . . . .

ونحن ـ العرب احفادهم ـ قد ارتضينا لأنفسنا اتجاهاً لانحيد عنه ، ومبدأ نتبناه بكل ما نملك من روح وشعور وقـوة ، ونسعى لاعزازه ورفع شأنه .

ذلكم المبدأ هو : القومية العربية .

القومية العربيـة التي اتهموها ظلماً وبهتانا بتهم كثيرة أهمهـا : أنها تتعصب لقوم ولجنس ، وأنها غيرقابلة للتطور ، لأنها بنت عصر مضى ، ولأنها امتداد للحركات الفكرية التي سادت خـلال القرن الماضي ، وحملت معها للانسانية مآسي وشروراً .

والقومية العربية ـ أيها السيدات والسادة ـ لاتتعصب للعرب

ولا تعتبر أنهم فوق الأمم ، وإنما تقول : إن الامة العربية أسرة داخل المجتمع الانساني الكبير، تسعى لخيره ، وتقدم للبشرية بتواضع ما تستطيع أن تقـــدمه . . . وهي من ثم لا تتحزب ولا تتعصب ، تسالم ولا تفرط ، تؤكد العدل وتدعم السلام ، توفر الرخاء لهـا ، ولمن حولها ، وللبشر جميعا (١) .

والقومية العربية لاتجمد على حال واحد ، بل تتطور وتتطور ، وتتفاعل بصدق مع التيـــارات الانسانية ، والتجارب البشرية على شرط واحد :

هو ان تبقى محافظة على أصالتها وعلى أنها للعرب أولا وللانسانية ثانياً . واذا كانت القوميـــات في القرن التاسع عشر قد تعصبت وتحزبت وخاضت معـارك فكرية أولا ، ثم حربيـة لنشر الفكرة واستعباد النـاس ، اذا كانت قوميات القرن الماضي قـد فعلت ذلك فالقومية العربية ليست مستوردة من الغرب ولا من الشرق ، وإنمـا هي نابعة من ضمير هـذا الشعب ، من وجـدانه ، من تطلعه للحرية والوحدة والعيش الكريم ، ويقينه بأن له دوراً أساسياً في التطور التاريخي الكبير للبشرية .

---

١) من خطاب الرئيس عبد الناصر في مجلس الامة .

نعم ياسادتي ليس بين القومية العربية والأنسانية اى تناقض أو تعارض لأنها لا تهاجم اليوم احدا ، وإنما تتمنى الخير لسائر قوميات الدنيا . يضاف الى هذا أن من جوانبها دفاعاً بطولياً ضـــد أخطر أعـــداء الانسانية : الفقر والجهل والمرض والتفرقة ، والاستعمار والصهيونية .

أيمكن ألا تكون انسانية تلك البطولات الباسلة التى يصنعها ثوارنا العرب فوق (الأهراس) ؟

أيمكن ألا يكون انسانياً ذلك الكفاح العنيـد الصلب الواقف في وجه الاستعمار فوق الجبل الاخضر ؟

أيمكن أن تكون الالآم التى يتحملها شعبنا في فلسطين المغتصبة والعـراق الجريح والجزائر المعذبة ، إلا دفقـات من شعور انساني نبيل ؟ نعم إن القومية العربية انسانية في هذا الكفاح الرائع الذى تبذله، لبناء غد سعيد مجيد ، يرتفع الى مستوى الأمس الناصع التليد .

---

٢) والآن ، وبعد ان رددنا التهم ، وقبل أن نمضي لتعـــداد الجوانب الانسانية في القومية العربية ، لا بد من وقفة نسأل فيها عن القومية : ما هيتها وأسسها .

وطبيعي أن لا أدخل أمامكم في جـــدل طويل حول تعريف القومية ومقوماتهـــا فذلك أمر لا يتسع له وقتنا ، وهو يحتاج الى محاضرات كثير ، فضلا عن أن ذلك قد اشبعه باحثونا درساً وتأليفاً ، ولا سيما ما فعله الرائد العربي الـكبير الاستاذ ساطع الحصري في كتبه الكثيرة التي لا أشك في أن اكثركم قد قـــرأها ووعاها ؛ حسبي أن اشير هنا ببساطة وايجاز الى ما ينفعنا في بحثنا .

فالقومية في رأيي هي هذا الشعور بالود والحب والتضامن الذى يجمع قوماً اتفقوا في لغـــة واحدة ، وعاشوا تاريخا واحدا ، وهم يحيرن تحت ظروف متشابهـة ويتطلعون الى مستقبل واحد يرغبون في بنائه والحياة فيه .

وواضح أنه ما من قومية اجتمع لها من هذه المقومات والعناصر مثلما اجتمع للقومية العربية ، فهذا تاريخنا العربي معطر بالأمجاد . وتلك لغتنا عربية ناصعة قد قاومت الحدثان ، وغلبت الزمان . وها نحن أولاء نتألم من استعمار وصهيونية وحياة بائسة ، ونتطلع الى يوم يجتمع فيه شملنا لنعيش معاً حياة حرة كريمة ترفع الرأس عاليا .

القومية ـ أيها السيدات والسادة ـ هي هـذا الحب الذى يربط العرب بعضهم ببعض :

كلما أن في العـراق جريح لمس الشرق جنبه في عمانه

هي هذه الروح التى دفعت ذلك الشاب العربي من فلسطين ليتبرع بثمن كتبه الذى قدمته له وكالة الأغاثة لصالح اسبوع الجزائر .

هي هـذا الشعور الطاغى الذى دفـــع شعبنا في العـراق الى التظاهر ـ وهو اعزل ـ ضد العميل الطاغية نوري السعيد واحلافه عندما اعتدى الفجرة على الـكنانة .

هى هذه الثورة في لبنان على شمعون وحكمه لانه اراد ان يطعن العرب ويحـول ذلك القطر الشقيق الى بؤرة مؤامرات ، وفنـدفاً للمتآمرين .

هي هـذا الحنين الرائـع في شعر المهجر الى ديارهم وإحساسهم بآلامها وعطفهم على آمالهـا .

هذا (نسيب عريضه) الفقير الشاكي الذى يعيش بعيـداً عن وطنه ، يذكر قومه ويتهكم على الحدود التي رسمهـا المستعمر بينهم ، ويتحدث عن العروبة كما يعرفها وكما تعيش في قلبه :

انا الذي إن تناسى الناس قومهم هيهات ينسى وما الكفران من شاني
إن جاهدوا كان قلبي فى جهادهم وان تنادوا يلب الصوت وجداني

لاحد عندى اذا جارت حدودهم الشام شامي ومصر اخت لبناني
وفي فلسطين اقداسي وعاطفتي في نجد، والقبلة السمحاء ايماني
لي العروبة امشي في مخارفها من العراق الى ما بعد وهران

وهذا ايليا ابو ماضى - وهو شاعر مهجرى كذلك - لا ينسى وطنه ، ولا يسلو عشيرته . فسوريا أحب ارض اليه ، ولبنان أعز جبل . . . اما العرب فأكرم عشيرة . انه ليعرف رائحة بلاده كلما نفحت نسمه محملة بالشذى والطيب .

قالت اينسى الناز حسون بلادهم ماهاج حزن القلب غير سؤالها
الارض سوريا احب ربوعها عندى ولبنان اعز جبالها
والناس اكرمهم على عشيرها روحى الفداء لرهطها ولآلها
والشهب اسطعها التى في افقها ليس الجلال الحق غير جلالها
اني لأعرف ريحها من غيرها بنوافح الأشذاء من اذيالها

اما الشاعر العربي العظيم (الياس فرحات) فليست هذه الدويلات التي اوجدها الاستعمار في نظره إلا عمداً لبيت واحد هو الوطن العربي الكبير :

إنا ليجمعنا على رغم العدى وذيولهم وطن كريم ماجد
ما الشام ما لبنان ما حوران ما عمان ماالقدس الشريف الخالد؟
هذي الدويلات المبعثرة القوى عمد يقوم بهن بيت واحد

الجوانب الانسانية في القومية العربية

القومية العربية هذه التي عرفناها تضم جوانب انسانية كثيرة ولا يمكن ان يلم الانسان في هذا الحديث إلماماً مفصلا كاملا بهذه الجوانب كلها ، فذلك يحتاج الى كتاب خاص . سأحاول إذاً ان ابرز فيما يلي ، بعض الجوانب التي بدت لي هامة تاركا لكم ـ ايها السيدات والسادة ـ إتمام ما قد يفوتني في هذا المقام .

١ ـ القومية العربية نبتة عربية :

الجانب الانساني الأول في القومية العربية هو انها نبعت من هنا ، من هذا الوطن العربي الطيب ، من قلوب ابنائه ، ومن عقول رواده . لم نستوردها من شرق ولا من غرب ، ولم نعتمد فيها الا

على تجربة بلوناها، وايام عشناها وواقع نتألم منه ، ومستقبل نتطلع اليه.

والمبادىء تقترب من الانسانية كلما كانت اصيلة ، وكلما نبعت من الأرض التي عاشت فيها، وسارت فيها ترفدها من هنا وهناك تيارات فكريه قوبـة .

ارايتم الى النهر ينبـع من الجبل ، ويسير في الارض وترفـده الجـداول . هكذا تسير القومية العربية : تنبع من طود عربي ، وتسير في وطن عربي وتصب في بحر عربي . . . .

٢ - القومية العربية ليست فكرة مجردة :

والجانب الثاني هو ان القومية العربية ليست فكرة مجردة لجمع شمل العرب وتوحيدهم واحيـاء ماضيهم . لا انهـا ليست كذلك ، فليس امل القومية هو الوحدة العربية فقط ، وانما الوحدة العربية مرحلة اولى في بنـاء مستقبل للعرب كريم ، ورفع مستواهم ، وإشاعة الرخاء والهناء بينهم .

القوميه العربية فكرة وعمل ، معنى ومبنى ، إنها خـــير للامة العربية . خير فكري ، وخير مادي .

والقومية العربية بذلك تختلف عن القوميات الأوربية . لسبب بسيط هو ان مستوي الحياة في الأمم الاوربية مرتفع جدا ، بينما

ألم بالعرب من المحن والفقر والجهل والمرض ما هو جدير بالقومية العربية ان تتبني قضية رفع المستوى المادي للشعب على انها من اهم اهدافها ومراميها .

القومية العربية حل لمشاكل العرب جميعاً ، ودواء لأمراضهم كلها . ولأنها حل حاسم ، ودواء شاف فهي انسانية سامية قريبة من الكمال .

٣ ـ القومية العربية والانسان :

الجانب الثالث هو عناية القومية العربية بالأنسان العربي كأنسان . ومن جملة عنايتها به اهتمامها بالروح . فالقوميه العربية مؤمنة ، تحترم الأديان وترعاها وتنبذ الالحاد والمروق . وليس معني ذلك ان تكون القومية العربية روحاً فقط او فكرة طوباوية ، او ان تسمح لمتاجر بالدين ان يتاجر به ، او ان يتعصب تعصباً اعمى يدعوه الى الطائفية والتهجم على الآخرين . قوميتنا مؤمنة وموقنة بان في امتلاء قلب الانسان بالايمان خيراً عظيما .

وهي تعرف ايضاً ان الانسان ليس روحاً فحسب ، بل هو روح وجسد وقلب وعقل . لذلك ترمي القومية ـ في جمله ما ترمي اليه ـ الي

بناء الجسد العربي بناء صلبا قويا ، وأغناء العقل العربي غنى لا حد له . شريطة ألا يطغي أحدهما على الآخر ، فاذا غذينا العقل وأهملنا الروح كان نتاج ذلك إنسانا « عضلاته اكبر من قلبه » كما يقول رئيسنا المفدى جمال .

واذا غذينا الروح على حساب العقل ذبنا في صوفية روحانية تجعل الانسان خروفاً في قطيع من غنم .

إن القومية العربية حين تعني بالأنسان كأنسان : بروحه وبجسده ، برأسه وبقلبه ، إنما تبلغ في ذلك أعلى مراتب الانسانية .

٤ - الاهتمام بواقع العرب :

والجانب الرابع في إنسانية القومية العربية هو هذا الاهتمام العميق الاصيل بواقع الانسان العربي . إنها كما قلت منذ قليل ليست فكرة مجردة فقط ، وليست ثورة سياسية فحسب ، بل هي ايضاً ثورة اجتماعية تهتم برفع المستوى المعيشي للانسان العربي . ولهذا الح رئيسنا جمال في اكثر خطبه على نقطة هامه وهي : أن الثورة العربية ليست ثورة سياسية لتغيير أشخاص وإزالة عروش فحسب ، بل انها ثورة اجتماعية ايضا . ان الثورة اذا اكتفت بالسياسة

وبتغيير الوضع سميت انقلاباً ولم تكن ثورة .

لهذا كله كانت هذه العناية الدائبة الساهرة بالاقتصاد القومي ، وما القضاء على الاقطاع - وهو ظلم اجتماعي جهول - وتمليك الفلاحين للأرض يزرعونها وينتفعون بها ، وما العناية بالعمال وحياتهم وتأمينهم ، وما الحد من أثر رأس المال وعدم السماح له بالطغيان . . . . ما هذه الامور كلها إلا مظاهر بسيطة من اهتمام القومية العربية بالمواطن وبأدق مشاكله التي لا يمكن ابداً أن تهمل او تترك جانباً .

ولم يكن غريباً بعد هذا ان تتبنى القومية العربية الاشتراكية في مجال الاصلاح الاجتماعي . . . . وهي اشتراكيتنا نحن ، انها الاشتراكية الديمقراطية التعاونية العربية التي تلبي حاجات مجتمعنا لم تستورد من مكان ماعبر الحدود .

هذه العناية - ياسادتي - بالمواطن العربي ، بالانسان ، هي وجه رائع من وجوه الانسانية في قوميتنا . انه وجه يجب الا نغفل عنه وأن نذكره ونتدبره دائما ، لانه طريقنا نحو المجتمع العربي الكريم الذي نريده لأنفسنا ، ولأولادنا واحفادنا من بعدنا .

٥ - التسامح والنبل :

اما الجانب الخامس في قوميتنا فهو هذا التسامح الاصيل والنبل

النبيل ، والعفـــو المتسامي . فالقومية العربية لا تعرف الحقد ولا الضغينة ، ولا تتبنى القتل وإهدار الدم الا دفاعاً عن النفس والوطن.

انها لا تحاول ان تفرض نفسها بالقوة ، ولا تحارب اعداءها الفكريين الا بسلاح واحد هو سلاح الفكر والنقاش والجدل . لذلك ضرب اخوتنا الجزائريون مثلا اعلى في معاملة اسرى الحرب من اعدائهم ، وهم لم يقابلوا وحشية الفرنسيين وتعذيبهم الا بالترفع والنبل . انهم لم يعذبوا ضعيفاً ولا سجيناً . القومية العربية لا يمكن ان ترضي عما يقوم به التتار الحمر في العراق الحبيب : انها لا تقتل الأبرياء والاطفال ، ولا تعذب النساء ، ولا تسحل من فاضت ارواحهم . وطالما افتخر رئيسنا وقائدنا جمـــال ، بتسامح الثورة العربية التي قام بها عام ١٩٥٢ ، وبأنها كانت بيضاء لم يرق فيها دم ، ولم يقتل فيها انسان . بينما يعيرنا بهذا الشرف وهذا التسامح ، الصفيق الصغير الساب في محكمته الهزيلة في بغداد ، مفتخراً بما اراق ذووه من دماء ، وارتكبوا من موبقات يندى لها جبين الانسانية .

ان القومية العربية في تسامحها الانساني تتجاوب مع اخلاق العرب الأصيلة في حفظ الذمار ، ورعاية الجار ، والعفو عند المقدرة ، وتكريم الانسان حياً وميتاً .

٦ - عدم الانحياز وحق الشعوب :

والجانب الأنساني السادس في قوميتنا هو هذا الموقف الصحيح في الاسرة الدولية . انها كما راينا لاتنحاز الى معسكر ، ولا تشترك في حلف عدواني، ولا تمنى بزج نفسها في خصومات الكبار وتكالبهم وقتالهم . انه الحياد ؛ ولكنه ليس حياداً اعمى اصم (اي لا يسمع ولا يرى) ، حياداً ينقطع عن العالم وينطوي على نفسه . . . . لا . انه حياد ايجابي فريد في نوعه ، يمد للعالم كله يداً ناصعة بيضاء قوية، تأخذ العون دون شرط وتشكر المعين . ولكنها لاترضى لليد التي تمتد الا بالتحية ، والا بالعون البعيد الذي لا تشوبه شائبة . انها لا تبيع عقيدتها بمال ، ولا تسمح لاحد ان يتدخل في شئونها . وهي تملك في هذا الموضوع حساسة غريبة تميز . لكثرة ما بلت وعرفت . بين الخبيث والطيب بين اليد الصادقة ، واليد الماكرة .

اما اذا تركت القومية للكبار خصوماتهم ، وانتقلت الى قضايا الشعوب ، فهي الي جانب الحق والعدل والحرية . تمد يدها بما تستطيع للضعيف تشد أزره وللعدو ترد كيده ، وتطالب بأعطاء كل شعب حقه في اختيار مصيره ، اى في منحه الحرية التي لا غنى عنها للشعوب والأمم .

موقفان انسانيان رائعان للقومية العربية في الميدان الدولي :

حيـــاد ايجابي يقف بالمرصاد كحـد السيف او كشعرة الميزان . وعون مادى وادبي لـكل ضعيف ينشد الحرية والحياة .

٧ - الوحدة العربية :

الجانب السابع والاخير - ايها السيدات والسادة - هو تبني قوميتنا للوحدة العربية . وقد تعجبون وتسألون وتقولون : ما شأن قضية الوحدة - وهي قضية عربية خاصة لا تتعلق بالانسانية - بهذا البحث العام الذى يعيش في افق واسع ؟ . . . . .

وجوابي ياسادتي هو ان جمع العرب في دولة واحدة يعيش ابناؤها في سعادة هو خير للانسانية والبشرية . انتقلوا معى بذهنكم الي خارطة الوطن العربى الذي تمتد بلاده من المحيط الى الخليج . ومن طوروس الى اواسط افريقيا والمحيط الهندى ، والذي يطل على بحار عدة ، ويتحكم في معابر دولية ضخمة . وانتقلوا معى بعد هذا الي ربط هذا الوطن بالعالم وما يتمتع به من مركز هام فيه . ثم اذكروا ما تضمه اراضي هذا الوطن من خيرات زراعية وصناعية وبترولية . ثم فكروا في دولة واحدة تضم هذا الوطن وتنفق هذه

الخيرات لصالح العرب ، ولرفع مستواهم .... وتخيلوا معي يوماً ينتقل فيه العربي سعيداً في هذا الوطن الفسيح يشم النسيم رخواً منعشاً ويشرب الماء طيبا صافيا ، ثم هو يلقى الحياة الكريمة والعلم الطيب .... ثم فكروا في المستوى الذي يمكن ان يصل اليه العرب حين يتحقق حلمهم في دولة عربية واحدة . ان المواطن الذي يعيش في مثل هذه الدولة ليأتي بالمعجزات وليقدم للدنيا آيات رفيعة من العلم والفلسفة والعزة والهدى ...

وستسعد الأنسانية كثيراً حين يعود اليها العربى يساعد في الخير ، ويدفع الشر ، ويرفع لواء المحبة والحرية والسلام .

خاتمة

وهكذا نصل - أيها السيدات والسادة - الى ختام هذا الحديث الذي أرجو الا يكون قد أتعبكم وحمل معه الملل الى قلوبكم .

وقد تبين لنا جميعاً أن العرب في تاريخهم الطويل كانوا إنسانيين، وقدموا للانسانية خدمات لا حصر لها . كما تبين لنا بعد ذلك كيف أن القومية العربية تضم في طياتها من الانسانية جوانب لاتحصى .

ولا يزال العرب يعيشون في صراعهم الانساني ضد الاستعمار والصهيونية والشيوعية ، ويحملون راية الحياد الايجابي ، منسجمين مع ماضيهم المشرق الذى كان خيراً لهم وللانسانية .

لقد ارتضوا لأنفسهم (القومية العربية) نوراً يسيرون وراءه . ففي هذا النور أمنهم وسلامهم وحياتهم ورفاههم . وحين يقوى هذا النور ويرتفع ، ويغدو شمساً تحرق الفساد وتبعث الحياة والخصب ، يعرف العالم كم كان العربي انساناً حقا ، وكم قدم العرب من شهداء في صراعهم الطويل ضد قوى الشر والبغي والطغيان . إن هؤلاء الشهداء - وما أكثر شهداء امتي - يمثلون أسمى مايصل اليه

الانسان من تضحية بالذات ونكران لها . فهم الخلود لأنهم قضوا دفاعا عن كرامة امتهم ، وشرف عروبتهم ، فكل منهم هو الانسان.

هؤلاء الشهداء - ايها السيدات والسادة - يعيشون اليوم في اعلى عليين ؛ افاء الله عليهم من رضوانه فوق مايريدون . ومن يدرى فلعلهم يرقبوننا من هناك ، من وراء الخلد ، وينتظرون منا يوماً ثالثاً كيومي الوحدة وبور سعيد، يوماً يرفع فيه زعيمنا جمال - بعد ان انقشعت الغمة عن العراق ، وانتصرت ثورة الجزائر ، وزالت الحدود ، وقبر المتوسط اليهود - يرفع جمال علم الدولة العربية الواحدة من الخليج العبق بالخير شرقا ، إلى الاطلسى الهادر بالامل غربا .

١٠ / ١٢ / ١٩٥٩ ـ

المطبعة العربية (حلب)

الثمن ٥٠ ق.س.

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074453844

(NEC)
DS63
.6
.J843
1959